المحاضرة الثالثة: . شكـل الدولـة :

. يرى علماء السياسة المسلمون أنه لا مانع أن تبدأ هذه الدولة . الإسلامية العالمية في طبيعتها . بدولة إقليمية في قطر معين ، اختار شعبه الإسلام شرعة ومنهاجا ، وآثر أن يجسد النموذج الإسلامي على الأرض ، وان يقاسى في سبيل ذلك من الحربين الخفية والعلنية ، ومن الحصارين المادي والمعنوي والأدبي، ما لا يصبر عليه إلا أولوا العزم ، فإذا ظهرت عدة نماذج في عدة أقطار أمكن أن تكون بينها دولة واحدة، تقوم على الوحدة ، أو الاتحاد الفيدرالي [1]، أو الكونفدرالي [2]. وبهذا تقوم الخلافة الإسلامية المنشودة [3].

وقد اقترح المجتهدون في ميدان الفكر السياسي . ونحن بصدد بناء أمتنا من جديد . (وفي سبيل الاستفادة من الغير في إطار إعادة هذا الاتحاد والوحدة أن تدرس الروابط بين دول الكومنولث البريطاني [4].

([1])– **نظام الحكم الاتحادي (الفيدرالي)**fédération: نظام ابتدعته الولايات المتحدة الأمريكية بقصد التوفيق بين الوحدة السياسية لولاياتها الكبيرة المختلفة ، وبين ما تتصف به كل ولاية منها من طابع خاص يجعل بينها وبين باقي الولايات اختلافات عميقة الجذور، فالسلطة المركزية في هذا القطاع تتمتع بصلاحيات كاملة بشأن السياسة الخارجية، في حين أن السلطات المحلية لكل ولاية تتمتع بصلاحيات واسعة في الحكم الداخلي الذاتي. يكاد يصل إلى حد الاستقلال في بعض المجالات . وهناك دولة كبيرة أخرى ذات نظام اتحادي هي الاتحاد السوفيتي . موسوعة السياسة ، ج 06 ، ص 584 .

(2)- **نظـام الكـونفدراليـة–** confédération : فهو شكل من التنظيم الاتحادي بين دول تعهد بممارسة بعض من صلاحيتها إلى سلطة مركزية مشتركة، مع إبقائها على حكوماتها المميزة، وتتألف السلطة المركزية أساسا على هيئة تنسيق ملزمة باتخاذ قراراتها كافة ، أو معظم قراراتها على الأقل بإجماع الدول الأعضاء في الكونفدرالية، وذلك بخلاف ما يحصل في الفيدرالية، حيث تتخذ القرارات بأكثرية الأصوات فقط وغالبا ما تتحول الكونفدرالية ولا سيما في إطار الدولة القومية إلى فدرالية . وهذا ما حصل في سويسرا على سبيل المثال حيث لم يبق من الكونفدرالية إلا اسمها. . موسوعة السياسة ج 5ص 285.

(3) – يوسف القرضاوي ، من فقه الدولة في الإسلام ، ص 32 ..

(4)- **دول الكومنولث** commonwealth : رابطة دولية حرة بين بريطانيا ومستعمراتها السابقة التي استقلت عنها وظلت تابعة لها محافظة على ولاءها للتاج البريطاني ، والعاهل البريطاني هو رئيس الكومنولث . الهدف الأصلي من هذه الرابطة الإبقاء على صلات التشاور والتعاون بين بريطانيا والدول المتأثرة بها سياسيا وثقافيا، اقترح ألبندنيت نهرو أن يكون العاهل البريطاني رئيسا للكومنولث . بيد أن هذا المنصب يظل فخريا، فلا دستور ولا حكومة مركزية لهذه المنظمة الأولية، كل ما هنالك لقاء سنوي بين رؤساء ووزرات الدول الأعضاء يقترض أن يتم التداول خلاله بواقعية وجدية . بعيدا عن الأضواء . المشكلات التي يعاني منها المجتمعون كمشكلات " البطالة –التضخم النقدي – التخلف الاقتصادي

ويتولى صندوق التعاون التقني للكومنولث مهمة تأمين تبادل الخبرات الفنية بين الدول الأعضاء .

لقد وهنت الأواصر بين الدول الأعضاء في الكومنولث، خلال العقدين الأخيرين، مع زيادة حدة الخلافات والتناقضات فيما بينها وقد أصيب الكومنولث بنكسة كبيرة، عندما اتجهت بريطانيا صوب السوق الأوربية المشتركة، الأمر الذي أحدث تغيرا ملموسا في تطلعاتها وعلاقاتها الاقتصادية والسياسية والدولية .

أو ندرس الروابط بين شعوب الاتحاد السوفيتي ، أو الولايات المتحدة الأمريكية ـ مثلا ـ

ذلك أن الأمة الإسلامية تتكوّن من شعوب عدّة وقد نرى جعل " الخلافة " رابطة مرنة ، أولى من جعلها نظاما مركزيا ، ومن الضروري الاعتراف بما للأجناس والأقطار المختلفة من خصائص يجب أن تبقى لها.

إن الإفادة من سير الزمن شيمة أولي الألباب ...)[5].

ويحرص علماؤنا على التذكير مثنى وثلاث بضرورة وجود كيان سياسي وثقافي موحد للمسلمين، حتى يستطيعوا أداء رسالتهم ، والقيام بحق الله عليهم، وأهمية هذه الوحدة . أو ما كان يسمى قديما بالخلافة الجامعة لبيضة المسلمين ـ تظهر من خلال حديثهم عن سقوط الخلافة الإسلامية " الاسمية " في العصر الحديث :

(إنه يشبه سقوط روما قديما في البرابرة ، كان له دويّ بعيد المدى ، وإن لم نحس به نحن في طفولتنا ولا شعرنا ـ بعد ـ بآلام ذلك الحدث الخطير ، فقد تعلّمنا في ظل الإحتلال أنه ليس من الضروري أن تكون للأمة الإسلامية جامعة عامة ، ولا خلافة قائمة ....!!)[6].

وفي سؤال طرح على الشيخ الغزالي جاء فيه : كيف يقيم المسلمون دولة إسلامية واحدة ؟ [7].

فمهّد قبل الإجابة بكلام فحواه أننا عند التأمل التاريخي نستطيع القول أن الأمة الإسلامية بقيت إلى يوم الناس هذا قائمة برسالتها مصطفاة نتيجة أمور ثلاثة:أولا وقبل كل شيء:

1. حفظ الله تبارك اسمه. ثم يأتي بعد ذلك:

2. وفاء الجماهير العميق لدينها.

3. جهاد الفقهاء والدعاة والمربين.

. موسوعة السياسة ، ج 5 ، ص261-262 .

(5) - ظلام من الغرب ، ص277-278 .

(6) – المصدر نفسه ، ص277-278 .

(2) - كفاح دين ، مكتبة رحاب الجزائر ،الطبعة السادسة ، 1408هـ – 1988م ، ص145 .

(3) –مائة سؤال في الإسلام ، ص ، 250 – 254 ، بتصرف .

ثم يذكر الشيخ: (...كيف شقت الأمة طريقها بقوة على عهد الخلافة الراشدة، وكانت الجماهير والحكام جسدا وروحا لا فكاك بينهما، ثم اضطربت أجهزة الحكم العليا ودخلها خلل مزعج أيام الدولة الأموية ، وصدر الدولة العباسية ، ومع ذلك فقد رأى جمهرة العلماء والدعاة أن يبقوا الأمة موحدة الصف والهدف ، وراء أولئك الحكام فكان المسلمون أمة واحدة وخلافة واحدة تقريبا [8].

ثم نبت إلى جوار الجذع الغليظ سيقان أخرى ، ما لبثت أن اشتدت وتحوّلت إلى جذوع قوية ومن هنا قامت دول إسلامية شتى ، فشاعت الفرقة والضعف [9].

والحق أن مأساة الإسلام الأولى لم تجيء من كثرة حكوماته ، قدر ما جاءت من تفاهة الحاكمين، وندرة مواهبهم، وسقوط منصب الخلافة بين أناس لا يصلحون لإدارة قرية صغيرة، أو شركة محدودة ...) [10]

وأهم النقاط التي نستخلصها من بقية الإجابة تتمثل فما يليي :

1 / ضرورة وجود كيان سياسي وثقافي موحد للمسلمين ، حتى يستطيعوا أداء رسالتهم، والقيام بحق الله عليهم ذلك لأن :

---

(8) – العلم المستمد من القرآن الكريم والسنة الصحيحة انفصل عن الحكم من عصر مبكر ، وانكمش وأصبح تعليقا مرا ولاذعا عند واحد مثل الحسن البصري لما قيل له : لص مأخوذ إلى الحاكم ، فقال : سبحان الله ! سارق السر يسعى به إلى سارق العلانية.

فهو يرى أن الحاكم المستغل لص، وأن اللص الصغير يقاد إلى اللص الكبير، واكتفى بهذا التعليق.

لكن هل يستطيع أن يتحول إلى ثائر؟ هو رأى مصارع الخوارج، وبطش الحجاج بالشعوب فرأى أنه يمكن استبقاء الإسلام علميا ونظريا وتربويا بالطريقة التي يمشي بها ... وهكذا مشى غيره من الدعاة والوعاظ والعلماء، فكانت أول شعبة معطوبة في شعب الإسلام هي الحكم.

. يراجع : كيف نتعامل مع القرآن لـ :مُحَمَّد الغزالي ، ص65 – 66 .

(9) –كمثال تاريخي من عصر ملوك الطوائف (400 – 536 هـ)، فقد انقسمت الأندلس عقب سقوط الخلافة الأموية إلى عدد من الدويلات والطوائف ، وكان كل من يأنس من نفسه القدرة من رؤساء الطوائف عربا أو موالي يستقل بالإمارة التي يحكمها، ويتخذ من أهم مدينة فيها عاصمة له ، وقد نشأت بين حكام هذه الممالك وملوكها حروب متصلة ، بلغ الأمر فيها استعانة بعضهم بملوك الفرنجة. كما تجاوز التنافس بينهم إلى التنافس في مجالات العمران والأدب والفن ومجالس الطرب والغناء، وتشجيع الأدباء والشعراء . وبالرغم من ذلك شغل فريق بالبهرجة والترف والتهافت على الصغائر ، والتلقب بنعوت الخلفاء مما جعل سخرية الشاعر أبي علي الحسن بن رشيق المسيلي (ت 456 هـ)صادقة في حقهم حين يقول :

مما يزهدني في أرض أندلس & أسماء معتضـــــد فيها ومعتـمد

ألقاب مملكة في غير موضعها & كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسـد

. الموسوعة العربية العالمية ، ج 16 ، ص 220 بتصرف .

(10)– مائة سؤال في الإسلام ، ص 250 .

. دراسة التاريخ الدولي للعلاقات بين المسلمين وغيرهم ، تُشعر بأن هذا الترابط الإسلامي ضرورة حياة ، ونداء البقاء بين ملل ونحل تنظر إلى الإسلام والمسلمين بكره ، وتودّ لهم العنت بل الضياع .

. الضّغائن الأولى التي توارثتها الأجيال في مطالع القرن الخامس عشر للهجرة :

فمع عمق الفجوة بين الهندوكية والشيوعية والصليبية واليهودية ، فالكل يعالج الوجود الإسلامي بالقتل .

2 / إمكانية حشد المسلمين في دولة واحدة، وتحت راية واحدة ، وهم ألوف مؤلفة " مليار وسبعمائة مليون نسمة " . موزعون على أقطار فيحاء ، والنماذج للتمثيل موجودة.

فهناك الصين قامت له دولة، وهي مثل ذلك العدد ، والاتحاد السوفيتي قدر على بناء دولة واحدة فوق أرض تأخذ نصف أوربا ، ومثل ذلك من آسيا مع تعدد الأجناس واللغات .

3 / عدم وجود عوائق مادية تمنع قيام دولة واحدة للمسلمين ، بل العوائق دون هذه الدولة نفسية ومعنوية واستعمارية، وهي ترجع إلى المسلمين، قبل أن ترجع إلى خصومهم [11].

---

(11)– الأمة الإسلامية المترامية الأطراف يكمّل بعضها بعضا في كل ميدان، ويشد أعصابها المعنوية والعسكرية قلب واحد، وفي هذه الفكرة بالذات نجد الغزالي ينقل في كتابه " مع الله " عن الدكتور: مُحَمَّد البهي أن الرحالة الألماني " بول أشميد " في كتابه " الإسلام قوة الغد " الذي ظهر قبل الحرب العالمية الثانية في سنة 1936 حذر الغرب المسيحي من استمرار التوتر في السياسة بين حكوماته وشعوبه . وأنذر هذه الحكومات والشعوب بأن الشرق الإسلامي يتحفز للسيطرة بعد التخلص من السيادة الأوربية، لأنه يملك فعلا مقومات القوة في الغد .

قال: وإذا ما قوي الشرق الإسلامي ضعف الغرب ، وكان لا محالة من أفول نجمه ، ثم أشار إلى مقومات القوة في الشرق الإسلامي وحصرها في ثلاثة عوامل :

1 / في قوّة الإسلام كدين وروعة الاعتقاد به ، والاستمساك بمثله ، وفي مؤاخاته بين أتباعه على اختلاف الجنس واللون والثقافة .

2 / وفرة مصادر الثروة الطبيعية ، في رقعة العالم الإسلامي ، الذي يمتد من المحيط الأطلسي على حدود مراكش غربا إلى المحيط الهادي على حدود إندونيسيا شرقا . وتمثيل هذه المصادر العديدة لوحدة اقتصادية سليمة قوية ، بل لاكتفاء ذاتي لا يدع المسلمين في حاجة ما إلى أوربا ، أو إلى غيرها إذا ما تقاربوا وتعاونوا .

3 / وأخيرا أشار إلى عامل مهم ، هو خصوبة النسل البشري لدى المسلمين، مما يجعل قواتهم العديدة متزايدة نامية فإذا اجتمعت هذه القوى الثلاث . فتآخى المسلمون على وحدة العقيدة ، ووحدة الله ، وغطّت ثرواتهم الطبيعية حاجة عددهم المتزايد ،كان الخطر الإسلامي خطرا منذرا بفناء أوربا ، وسيادة دعوة عالمية في منطقة هي مركز العالم .

– مُحَمَّد الغزالي ، مع الله ، ص 273 – 274 .

4 / إن هذه الدولة الجديدة ليست مركزية بداهة، إنها مجموعة من الأقطار أو الولايات لها حكوماتها المحلية ومجالس شوارها، وضرائبها، وشخصيتها المعنوية. يتكوّن منها بعد ذلك كيان الدولة الكبرى ، ويوجد بعاصمتها الخليفة بسلطاته العامة.

5 / يستطيع الأخصائيون وضع القالب القانوني لهذا البنيان السياسي ، ولا حرج عليهم أن يقتبسوا من الأنظمة المطبقة في دول مشابهة ، بعد إشرابها بروح الإسلام .

6 / العصر الحاضر ليس عصر الدويلات المنشورة. إنه عصر التكتلات الكبيرة القديرة على الحياة والمقاومة الذاتية.

7 / العودة إلى الدولة الإسلامية الواحدة بكل تأكيد يحتاج إلى تمهيد واسع ، يعيد المسلمين أولا إلى دينهم الحق ويملأ أفئدتهم وألبابهم برسالته وعقائده وشرائعه وفضائله ، كما تحتاج إلى بصر حاد بأخطاء الماضي وأسباب الانهيار ، حتى يمكن تجنبها بلباقة ومقدرة ، فتبنى الدولة الجديدة على قواعد لا تنال منها الأيام [12].

(12) –مائة سؤال في الإسلام ، ص 250 – 254 .